# ظاهرة اللجوء في الأندلس إبان عصر ملوك الطوائف الأسباب والآثار

بليل الصالح
باحث دكتوراه
كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة-1
bellilsaleh@gmail.com

**الملخص:**

تقوم هذه الدراسة بتتبع الأسباب الحقيقية المختلفة التي تقف وراء هجرة قطاعات واسعة من الشعب الأندلسي من فئات مختلفة من أوطانهم في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ولجوئهم إلى دول أخرى بالأندلس، ورصد خط سيرها ، ومحاولة التعرف على حجم وطبيعة الآثار التي نجمت عنها قصد إماطة اللثام عن حدث هام من الأحداث التي نعتقد أنها لم ينقب عنها بعد.

**كلمات مفتاحية: اللجوء؛ عصر ملوك الطوائف ؛ الأسباب؛ الآثار.**

## Abstract:

This study traces the real reasons behind the migration of large sections of the Andalusian people from different parts of their homelands in the 5th century AH and their arrival to other countries in Andalusia, monitoring their route, and trying to identify the size and nature of the effects that resulted from them in order to uncover For an important event that we believe has not yet been explored.

**Keywords :Asylum; Andalusia; Age of kings of sects; the reasons; ministers; consequences.**

## المقدمة:

يجمع المؤرخون بأن المرحلة التي تعرف تاريخيا بعصر ملوك الطوائف من أشد المراحل اضطرابا في التاريخ الأندلسي ، لذلك لا عجب إذا قرأنا في الكتب التي أرخت لهذا المرحلة بأن موجات من الأندلسيين هجروا دويلاتهم ولجأوا إلى دويلات أخرى للعيش فيها، ولا غرو بأن حدوث هذه الظاهرة في هذا الجزء من العالم الإسلامي وفي هذه الفترة تحديدا له ما يبرره إذ لا مجال للعشوائية في عالم تحكمه الأسباب والنواميس.

إن جهلنا بالظروف والملابسات التي حدث فيها اللجوء من جهة ورغبتنا الملحة في معرفة الأسباب التي تقف خلف هذه الظاهرة وآثاره المترتبة عنها من جهة أخرى يدفعنا للبحث فيها انطلاقا من **الإشكالية التالية: ما طبيعة الأسباب التي ساهمت في هجرة قطاعات واسعة من الأندلسيين ولجوئهم إلى مناطق مختلفة من الأندلس في عصر الطوائف وما هي آثارها المحتملة؟**

وللإجابة على هذه التساؤلات قسمت البحث إلى ثلاثة مطالب وخاتمة .

## I - مطلب تمهيدي:ضبط مفاهيمي وتأطير زمني

### 1 -أولا: ضبط مفاهيمي

أ-**اللجوء:** لغة: مأخوذ من لجأ يلجأ لجوء قال ابن فارس في مادة " لجأ" : اللام والجيم والهمزة كلمة واحدة وهي اللجأ والملجأ : المكان الذي يلتجأ إليه يقال لجأت والتجأت ، وقال في اللجأ

جاء الشتاء ولم أتخذ لجأ  يا حر كفى من حفر القراميص

وقد أشار كل من الفيروزبادي والفراهيدي إلى المعنى نفسه [1]

ويستخلص مما ورد في معاجم اللغة حول لفظة لجأ أن اللجوء هو الاحتماء بمكان ما واتخاذه ملاذا والاعتصام به على سبيل الاضطرار.

-**اللجوء في الاصطلاح:** يمكننا أن نعتمد على تعريف معهد القانون الدولي والذي جاء فيه: هو الحماية التي تمنحها دولة فوق أراضيها أو فوق أي مكان تابع لسلطتها لفرد طلب منها هذه الحماية [2]

انطلاقا من هذا التعريف يتضح لنا أن الأفراد الذين لجأوا إلى دول أخرى إنما فعلوا ذلك طلبا للحماية التي فقدوها في الأماكن التي جاءوا منها وهذا ما سيوضحه هذا البحث.

[1] ابن فارس:معجم مقاييس اللغة،(د.م)،1979،دار الفكر،ج5، ص235-236؛ الفيروزآبادي: القاموس المحيط،القاهرة،2008، دار الحديث،ص1459؛ الفراهيدي:كتاب العين،بيروت،لبنان، 2003، دار الكتب العلمية، ج4، ص 70-71.

[2] عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة،(د.م)، دار نعمة للطباعة، 1990،ج5، ص 467.

**ب-الطوائف:**

**-لغة:** قال ابن فارس: فأما الطائفة من الناس فكأنها جماعة تطيف بالواحد أو بالشيء ، ولا تكاد العرب تحدها بعدد معلوم ...والعرب فيه أن كل جماعة يمكن أن تحف بشيء فهي عندهم طائفة ، وجاءت كذلك بمعنى: القطعة من الشيء، كالأعضاء من الجسد تسمى طوائف، وكل جزء منها يسمى طائفة [1]

وبالاعتماد على المعاني الواردة في المعاجم اللغوية نجد بأن لفظ الطائفة يدل على الجماعة من الناس التي تجتمع حول شخص أو شيء ما ، كما تدل على القطعة من الشيء ، وطوائف الأندلس هي جماعات من الناس وقطع من المسلمين الذين تواجدوا بالأندلس في هذه الفترة اختارت كل قطعة وجماعة منهم الالتفاف حول شخصية من الشخصيات المؤثرة فيما حولها.

**-اصطلاحا:** نعني بها الدويلات التي قامت بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، وقد وصل عددها إلى اثنين وعشرين دولة.

**-ثانيا:تاطير زمني:** اختلفت آراء المؤرخين حول التاريخ الذي بدأ فيه عصر الطوائف فابن الأبار مثلا يعتبر التاريخ الذي قتل فيه علي بن حمود العلوي الإدريسي سليمان المستعين بالله وهو يوم الأحدمن عام 407هـ هو بداية عصر الطوائف ، بينما ذهب جمهور المؤرخين إلى اعتبار عام 422هـ/ 1031م هو التاريخ الفعلي لعصر الطوائف ، أما المؤرخ حسين مؤنس فله رأي آخر في المسألة إذ يعتبر معركة " قنتيش" الفاصلة التي نشبت بين محمد المهدي والمستعين بالله بتاريخ 11ربيع الأول سنة 400هـ/3 نوفمبر 1009م هي البداية الفعلية والحقيقية لعصر ملوك الطوائف لأن حكام الأقاليم والنواحي برأيه شعروا بعد هذه الواقعة باستحالة عودة السلطة المركزية من جديد وخاصة بعد انقسام الجيش الأندلسي إلى قسمين رئيسيين متعاديين : البربر من جهة ، والأندلسيون من ناحية أخرى [2] ، وأنا أميل إلى هذا الرأي للأسباب والمبررات نفسها التي طرحها مؤنس.

## II المطلب الثاني: أسباب اللجوء في عصر الطوائف

### 2 أولا: الأسباب الاقتصادية:

سنلاحظ في هذا العنوان كيف أجبرت الظروف الاقتصادية بعض الأندلسيين أماكن سكناهم واللجوء إلى مناطق أخرى بحثا عن ظروف اقتصادية أفضل.

ففي بلنسية تخبرنا المصادر التاريخية بأن الفترة التي كانت فيها تحت حكم مظفر ومبارك العامريين سادها الأمن في مستهل أمرها، فلجأ إليها الحرفيون والصناع من جميع التخصصات، وحملت إليها السلع التجارية من كل مكان فازدهر النشاط التجاري في أسواقها وعم الرخاء بها وهذا ما جعل أرباب الأموال في المناطق الخاملة اقتصاديا يحملون أموالهم ويلجأون إلى بلنسية لاستثمارها في التجارة تحديدا.[3]

[1] الفيروزآبادي: المصدر السابق، ج3، ص 432-433.

[2] ابن الأبار: الحلة السيراء، القاهرة، 1985،دار المعارف،ج2، ص6.

[3] ابن عذاري المراكشي:البيان المغرب تونس،2013،دار الغرب الإسلامي،ج2، ص 415 ؛ابن بسام: الذخيرة ق3 م1 بيروت،لبنان،1997،دار الثقافة ق3، م1، ص 16-17.

فلا شك بأن الأسباب التي دفعت بالحرفيين والصناع وأرباب الأموال للهجرة من بلدانهم الأصلية إلى بلنسية اقتصادية بالدرجة الأولى، فثمة ظروف ما حالت دون تمكنهم من مزاولة أعمالهم وصنائعهم في بلدانهم ، فأصبحوا عاطلين عن العمل، فحالة العطالة التي كانوا يعيشونها هي التي دفعت بهم للجوء إلى بلنسية التي توفر في هذه المرحلة من عمرها فرصا ثمينة للباحثين عن العمل في مجالات مهنية وصناعية مختلفة وفي ظروف جيدة، أما أرباب الأموال فلم تكن الرغبة في استثمار أموالهم هو السبب الوحيد في لجوئهم إلى بلنسية بل ثمة سبب اقتصادي آخر لا يقل عن السبب الأول ويتعلق الأمر بالضرائب الفادحة التي كانوا يدفعونها للحكام ، والتي ستبتلع أموالهم مع مرور الوقت.

وخلال حكم عبد العزيز بن عبد الرحمن (شنجول) لبلنسية ( 412-452هـ/1021-1061م) شهد القطاع الزراعي وفلاحة الأرض ازدهارا كبيرا بها، وقد ساعد على هذا الازدهار وقوعها على نهر الوادي الأبيض الذي تستعمل مياهه في سقي المزروعات من جهة والساحل الشرقي من جهة أخرى إضافة إلى خصوبة تربتها واعتدال مناخها واستعانتهم في عملية السقي بالنواعير والقنوات، كما شيدوا الأبراج والمخازن لتخزين الحبوب، فزاد دخل العمال في هذا القطاع مقارنة بنظرائهم من الفلاحين في دويلات الطوائف الأخرى وهذا ما جعل أعدادا كبيرة من الفلاحين يتوافدون على بلنسية ويلجأون إليها لتحسين دخلهم ما دامت فرص العمل متاحة أمامهم وخاصة أولئك الذين يعيشون في المناطق المتوترة وتوقف عملهم في المجال الزراعي بسبب ذلك.[1]

فهؤلاء الفلاحين والمزارعين كانوا في نهاية الموسم يبيعون محاصيلهم للحصول على المال الذي يمكنهم من شراء احتياجاتهم ، وعندما توقفوا عن فلاحة الأرض وزراعتها انعدمت مداخيلهم فساءت أحوالهم الاقتصادية لذلك رحلوا عن بلدانهم بحثا عن مزارع يعملون فيها وقد قادتهم أقدارهم للعمل في مزارع بلنسية.

وفي قرطبة هاجر الحرفيون والصناع الذين كانوا يعملون في معمل الصناعات العاجية بعد هجوم البربر على قرطبة وإحراقهم للمصنع ولجأوا إلى بلاط المأمون بن ذي النون، ولم يكن لجوءهم إلى طليطلة للعمل في مصنع مماثل فدولة المأمون يومئذ لم يكن بها مصنع للصناعات العاجية، ولكنهم خرجوا يلتمسون الرزق في مجالات أخرى، إلا أن المأمون اعتبر قدوم هؤلاء الخبراء في هذه الصناعة فرصة لتعزيز القطاع الصناعي في دولته بصناعة جديدة فاستقبلهم بحفاوة بالغة وشجعهم على الاستقرار في كونكة إحدى مدن طليطلة، ثم شيد لهم معملا للصناعات العاجية.[2]

فالداعي مرة أخرى إلى خروج عمال الصناعات العاجية من قرطبة اقتصادي محض ، فقد أصبحوا بعد احتراق معملهم بلا عمل ، وأصبحت جيوبهم خاوية من الأموال، وهذا بلا شك سيجعلهم يعيشون أوضاعا اقتصادية صعبة ، لذلك خرجوا يلتمسون العمل في طليطلة فكللت مساعيهم بالنجاح وواصلوا العمل في نفس الإختصاص، وتشير البحوث التي أجريت حول الصناعة العاجية في كونكة[3] بأنها كانت تحظى بالإشراف المباشر لحكام بن ذي النون

[1] كمال السيد أبو مصطفى:تاريخ مدينة بلنسية، الإسكندرية،(د.ت)،لإشعاع ،ص 260،258،256،255.

[2] الصناعات المحلية وتطورها في مدينة طليطلة(92-478هـ)، عبد الكريم خيطان الياسري، سعد قاسم علي السويعدي، مجلة الأستاذ، ص 521.

[3] الحموي: معجم البلدان، بيروت،لبنان،1977،دار صادر،ج5،ص 119.

وتتلقى الدعم الكامل حتى تحقق أعلى مستويات الجودة لأن مصنوعات هذا المعمل كانت موجهة في البداية للطبقة الحاكمة .[1]

وفي العقد الأول من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي شهدت المرية ازدهار كبيرا في مجال الصناعات النسيجية، فقد كانت معاملها متخصصة في صناعة الوشي والديباج والحلل الموشية، وصارت توفر دخلا محترما للعمال، فيما وجد عمال النسيج في قرطبة أنفسهم بلا عمل بعد اندلاع أعمال العنف فيها بين البربر ومحمد بن عبد الجبار الملقب بالمهدي، هذا الوضع الاقتصادي الصعب جعل عمال النسيج في قرطبة يحزمون أمتعتهم ويختارون اللجوء إلى المرية التي وضعت حدا لبطالتهم بتشغيلهم في معاملها، وقد ساعدهم على الانخراط في هذا العمل خبرتهم الطويلة في هذا المجال ، وتفيد المصادر التاريخية التي أرخت للجوء الأفراد بالأندلس خلال هذه الحقبة أنه قد لجأ للعمل في معمل المرية نساجون من مناطق مختلفة في الأندلس وهذا ما أكده الرازي عندما تحدث عن أسباب ازدهار هذه الصناعة في المرية.[2] فاللجوء للعمل في مصنع النسيج بألمرية لم يكن من قرطبة وحدها بل من مناطق مختلفة من الأندلس ما يعني أن ظروف هؤلاء اللاجئين الاقتصادية متشابهة.

كما شهدت أسواق قرطبة في عهد أبي الحزم بن جهور نشاطا تجاريا منقطع النظير بسبب تشجيعه للنشاط التجاري ودعمه للتجار، إذ وزع عليهم أموالا تمكنهم من ممارسة عملهم بكل يسر وسهولة على أن تبقى هذه الأموال دينا في رقابهم يأخذون ربحها فقط ويحاسبون عليها من حين لآخر، فساهم هذا الإجراء في ازدهار التجارة ،وتحسنت الأسعار، وحل الرخاء مكان الكساد، وقد كان ابن حيان ممن شهد هذا التحول في الحياة التجارية بقرطبة وتعجب من ذلك فكان الرخاء الاقتصادي وارتفاع دخل التجار فيها وتحسن مستوى المعيشة سببا في لجوء أعداد كبيرة من الأندلسيين من مختلف الجهات إليها رغبة في حياة أفضل.[3]

**3 ثانيا:الأسباب الاجتماعية:**

تكون الأوضاع الاجتماعية الصعبة التي يرزح تحتها السكان أحيانا سببا في هجرتهم ولجوئهم إلى دول أخرى أملا في غد أفضل ومستقبل زاهر، لم يخل المجتمع الأندلسي في عصر الطوائف من ظروف الاجتماعية صعبة جعلت عددا من الأسر يعيشون بؤسا حقيقيا سنقوم تحت هذا العنوان بإيراد نماذج لأسر عاشت هذه التجربة المريرة.

ففي مملكة بلنسية تعرض سكان القرى التابعة لها لأقسى أنواع الظلم والاضطهاد على يد مبارك ومظفر العامريين، فقد أجبر الجميع على العمل لساعات غير محددة في أعمال شاقة وبدون مقابل ، وقد كلف بمتابعة العمال وضمان السير الدائم للأعمال مشرفون لا يعرفون الرحمة أبدا، فكانوا في كل مرة يدفعون بالعمال إلى أعمال أكثر صعوبة، وكان هدف العامريين من وراء ذلك هو الحصول على مزيد من المال وتكديس الثروة .

[1] ابراهيم بن عطية الله بن هلال السلمي: تاريخ مدينة طليطلة في العصر الإسلامي دراسة تاريخية حضارية، السعودية، 1425هـ،جامعة ام القرى، ص 164.

[2] Levi-provençal :la Description D'Al- Andalus de Razi , Vol ,XVIII ,1953,P 65

[3] ابن بسام: المصدر السابق، ق1، م2، ص 604؛ عنان:دولة الاسلام في الأندلس دول الطوائف،القاهرة، 1997،المدني، ص 23؛ ابن عذاري:المصدر السابق،ج2، 433.

لقد تأذى عدد كبير من العمال من هذه الممارسات، وأنهك العمل المتواصل أبدانهم الضعيفة، ومنعوا من الطعام مبالغة في إذلالهم وإضعاف أجسامهم فاستبد الجوع بهم وحملهم على ملء بطونهم بالبقل والحشيش وتقطعت ملابسهم فأصبحت أبدانهم عرضة للبرد والأمراض فلبس الكثير منهم الحصر والجلود، وفي ظل هذه الظروف الكارثية فر الكثير منهم وتركوا أملاكهم، فاستولى عليها الحاكم، ولم يكن هذا مسلك مبارك ومظفر مع رعاياهم في القرى والبوادي بل كما يقول ابن بسام وابن عذاري هو مسلك كل متغلب في الأندلس [1]

إن جزم المؤرخين بأن ظاهرة استعباد الناس في عصر الطوائف لم تكن حدثا عابرا بل عملا ممنهجا كان الهدف الأساس من ورائه هو تخويف الناس من أجل إخضاعهم والتحكم فيهم يجعلنا نعتقد بأن الظروف الاجتماعية كانت وراء لجوء عدد من سكان الأندلس إلى أماكن تحترم إنسانية الإنسان.

إن لجوء أعداد كبيرة من الحرفيين والصناع وأصحاب الأموال والتجارات إلى كل من طليطلة والمرية وبلنسية إنما كان إلى جانب السبب الاقتصادي فرارا من الأوضاع الاجتماعية الصعبة التي كانوا يعيشونها، فذوي الدخل المنعدم أصبحوا يعيشون ظروفا اجتماعية مزرية بسبب عجزهم عن شراء ما يسد جوعهم من الطعام.

لقد أصبحت أجسام هؤلاء الجوعى بعد زمن يسير نحيلة، وصارت عرضة للأمراض القاتلة،كما أن الجثث الكثيرة المتناثرة في الشوارع بسبب القتل المتواصل جعل المدينة مرتعا خصبا للكثير من الأمراض والأوبئة الفتاكة، وجعل من قرطبة مكانا بائسا فغادره الكثيرون ولجأوا إلى أماكن لا بؤس فيها. [2]

كما أن توقف المزارعين عن العمل في المجال الزراعي جعل المعروض من الطعام فيها قليلا جدا ما جل أسعارها ترتفع بشعل رهيب، وقد أدى هذا الخلل في العرض والطلب إلى انتشار المجاعات في قرطبة وفي المناطق التي شهدت أزمة مماثلة فزادت تعاسة الناس وخرجوا للبحث عن ظروف اجتماعية افضل.

لقد شهد الأندلس في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي مجاعات متكررة بسبب القحط الذي تكرر مرارا، فأصاب الأندلسيين بسببها فقر مدقع جعلهم في كثير من الأحيان يقتاتون على أشياء ضارة ومحرمة كالدم والميتة وهذا ما حصل في قرطبة سنة 401هـ/1009م، فقد أكل الناس الدم من مذبح البقر والميتة ومات رجل في السجن فأكله السجناء [3]، وتذكر المصادر التاريخية بان هذه المجاعة قد بدأت قبل هذا التاريخ أي سنة 447هـ/1055م) إلا انه بلغت ذروتها في العام الموالي ومات بسببه خلق كثير ، وهناك مجاعات أخرى غير هذه حدثت في الأندلس في هذه الفترة عاني بسببها السكان فغادر عدد كبير منهم أراضيهم ولجأوا إلى دويلات الطوائف التي تتوفر فيها الأقوات كدانية التي وجه صاحبها في نفس العام مركبا مملوءا بالطعام إلى مصر لأنها كانت تعاني من مجاعة قاتلة. [4]

[1] ابن بسام:المصدر السابق، ق3 م1 ص 19و ابن عذاري:المصدر السابق: ج2 ص 416-417.
[2] ابن عذاري: نفسه، ص 381
[3] ابن عذاري:نفسه، ص 374.
[4] ابن عذاري: نفسه، ص 461.

**4 ثالثا: الأسباب السياسية:**

عندما يشعر الإنسان بأنه في خطر وأن حياته على المحك إما بسبب آرائه ومواقفه المعادية لنظام الحكم في بلده أو بسبب اتهامه بإفشاء أسرار الدولة والتخابر مع جهات خارجية أو محاولته قلب النظام الحاكم يطلب اللجوء عند دولة توفر له الحماية وهذا ما حدث مع عدد من الأشخاص سنكتفي بذكر شخصين فقط ، وممن وجهت لهم تهمة التآمر على النظام الحاكم ومحاولة قلبه من وزراء عصر الطوائف أبو الوليد بن زيدون المخزومي.

لقد تأثر ابن زيدون في صغره بمقتل جده لأمه الوزير والفقيه صاحب أحكام الشرطة والسوق محمد بن محمد بن إبراهيم بن سعيد القيسي المعروف بابن الهداهيد سنة ( 422هـ/1031م) بيد ابن سعيد وزير الخليفة الأموي المعتد بالله، فنقم ابن زيدون على الأمويين وسعى في إسقاط خلافتهم ، وبعد سقوطها اختيار القرطبيين أبا الحزم بن جهور ليتولى زمام الأمور فيها فاتصل به ابن زيدون وأعانه توطيد أركان حكمه، وسعى بعد جلوس ابن جهور على كرسي الحكم ليكون ذراعه الأيمن وتمنى أن يقلده أرفع المناصب، ولكن ابن جهور خيب ظنه فجعله كما وصفه البعض وزيرا بلا وزارة أو كما يقول أهل السياسة عندنا وزيرا بلا حقيبة، فعينه كاتبا يتولى شؤون أهل الذمة وكفى، فأثار هذا التصرف حفيظة ابن زيدون وأحيا في نفسه نزعة التآمر على بني جهور فضم صوته إلى صوت الداعين إلى تقويض أركان الدولة الجهورية وعودة الحكم الأموي، وعمل سرا على تحقيق ذلك،إلا أن الأقدار لم تشأ لهذا التدبير أن يتم فقد اكتشف أمر الجماعة ونكل ابن ابن جهور بالمتآمرين، أما بشأن ابن زيدون فلم يكن ابن جهور في البداية متأكدا من ضلوعه في المؤامرة لكن الواشين جدوا في إقناعه بأن له يدا فيها، ومع ذلك لم يحاكمه ابن جهور بتهمة التآمر لقلب النظام الحاكم بل لفق له تهمة استغلال النفوذ للإستيلاء على عقار أحد الموالي بعد وفاته، فحاكمه محاكمة سريعة وزج به في السجن سنة 431هـ/1039م ولم تفلح محاولاته المتكررة من داخل السجن لإقناع أبي الوليد ببراءته فبقي في السجن زهاء عامين وبعد خروجه لجأ إلى اشبيلية بني عباد[1].

وعلى الرغم من ان أبي الحزم أصدر قبل وفاته ببضعة أشهر قرارا يقضي بالعفو عن ابن زيدون وسمح له بالرجوع إلى قرطبة فعاد إليها سنة 434هـ/1042م وبعد تولي أبي الوليد بن جهور الحكم بعد أبيه أقنعه المغرضون بان ابن زيدون لا زال يريد الانقلاب على الحكم فزج به في السجن مرة أخرى وفي هذه المرة استعان ببعض أصدقائه ففر من السجن ولجأ مرة أخرى إلى اشبيلية سنة 441هـ/1049م [2].

فقصة ابن زيدون تخبرنا بأن الأسباب السياسية كانت وراء هروبه من قرطبه ولجوئه إلى اشبيلية وقد حدث ذلك معه مرتين.

أما الفقيه أبو حفص بن الحسن الهوزني صاحب المعتضد بن عباد قبل جلوسه على كرسي الحكم، فقد استغل صداقته للمعتضد لينتقد طريقته في إدارة شؤون الرعية،ولكن المعتضد لم يتقبل ذلك فتغيرت معاملته

[1] فاضل فتحي محمد والي: الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي، حائل، السعودية، 1996،دار الأندلس، ص 156-157.
[2] عنان : المرجع السابق،ص 25.

للفقيه وهذا ما جعله يطلب منه الإذن بالخروج من اشبيلية فأذن له فخرج منها سنة 440هـ/1047م وتنقل بين صقلية وسورية والعراق ومصر ثم لجأ بعد عودته إلى الأندلس إلى مرسية التي كانت حينها تحت حكم بني طاهر، ولم يرغب في العودة إلى اشبيلية لأنه كان يرى نفسه ممنوعا من بعض حقوقه السياسية كحق الانتقاد، وقد وجد متنفسا له في مرسية فوجه رسائل ملتهبة إلى المعتضد يعاتبه فيها على التقاعس عن نصرة المسلمين في بربشتر ضد النصارى الذين نكلوا بهم سنة 456هـ/1063م ويذكره بواجبه كحاكم قوي تجاه المظلومين من المسلمين، فملأ هذا الانتقاد اللاذع صدر المعتضد غيضا وحنقا على الهوزني فدعاه للعودة إلى اشبيلية وتظاهر له بأنه يقدر نصائحه وفي ليلة من الليالي أمر جنوده بإحضاره فقام بقتله [1].

ما أردنا قوله هنا هو أن الهوزني لم يستطع البقاء في اشبيلية لتوتر العلاقة بينه وبين المعتضد بن عباد بسبب آرائه السياسية، فقرر مغادرتها ولجأ إلى مكان يعتقد انه يستطيع أن يمارس فيه هذا الحق حيث وجه رسائل تتضمن نقدا لاذعا لحاكم اشبيلية، فالداعي إلى لجوئه إلى مرسية سياسي محض.

وفي المرية التي نزل بها ابن حزم بعد خروجه من قرطبة اتهمه خصومه بالدعوة للأمويين لأن آل حزم قد تقلدوا مناصب مرموقة في الحكومات الأموية المتعاقبة إذ كانوا من مواليهم، وكان علي ابن حزم وزيرا في دولة المستظهر الأموي،وكان في المرية يتتبع أخبارهم، وهذا ما جعل خيران العامري حاكم المرية يلقي به في السجن ، وبعد إطلاق سراحه لجأ إلى اشبيلية [2]لأن الحياة السياسة في المرية كانت تعيش انغلاقا تاما لا يسمح بظهور تيارات سياسية منافسة فبقاء ابن حزم فيها سيسبب له الكثير من المتاعب لذلك قرر اللجوء إلى اشبيلية.

فابن حزم في المرية سجن هذه المرة ليس بسبب اختياراته الفقهية ولكن بسبب آرائه السياسية إذ كان يرى بان الخلافة يجب ان تعود من جديد وفي البيت الأموي تحديدا.

**رابعا:الأسباب العسكرية:** ونعني بها الحروب التي كان الأندلس مسرحا لها في عصر الطوائف، تلك الحروب التي أرغمت الكثير من الأندلسيين على اختلاف نشاطاتهم ومراكزهم الاجتماعية على مغادرة أوطانهم ليلجأوا إلى مناطق آمنة، وفي هذا الإطار يمكننا أن نتحدث عن قطاع لا باس به الحكام الذين لم يستطيعوا الصمود أمام أعدائهم فرفعوا راية الاستسلام وسلموا بلدانهم للمتغلبين عليها وقرروا النجاة بأنفسهم وأهليهم مصطحبين معهم أموالهم، وهؤلاء الحكام منهم من لجأ إلى دولة صديقة ومنهم من رضي باللجوء إلى عاصمة عدوه والعيش تحت سلطانه.

فمن النوع الأول يمكننا أن نذكر محمد بن يحي اليحصبي حاكم لبلة وابن أخيه فتح بن خلف وعبد العزيز البكري حاكم ولبة وجزيرة شلطيش فهؤلاء لجأوا إلى بني جهور بقرطبة أما القاسم بن حمود فبعد تغلب المعتضد بن عباد عليه وإجباره على الاستسلام سنة 446هـ/1055م لجأ إلى المعتصم بن صمادح في المرية.

[1] ابن بسام: المصدر السابق، ق2، م1، ص 82-83؛ أمحمد بن عبود: جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، تطوان،1987،المعهد الجامعي للبحث العلمي، ص191-192.

[2] سعد البشري: الحياة العلمية،السعودية، 1986،جامعة ام القرى، ص 59.

ومن النوع الثاني محمد بن سعيد بن هارون حاكم شنتمرية الغرب ومناد بن محمد بن نوح عزيز بن محمد بن عبد الله البرزالي حاكم قرمونة جميعهم لجأوا بعد نزولهم عن العرش إلى اشبيلية بلد عدوهم ابن عباد [1]

هذا على مستوى الأفراد أما على مستوى الجماعات فيمكن الحديث عن الفرار الجماعي لأفراد قبيلة بني بريان البربرية من مدينة أركش وإخلائها تماما وإعطائها لجنود باديس بن حبوس ولجوئهم إلى مكان قريب من غرناطة.

وتذكر المصادر التاريخية أن أفراد هذه القبيلة لم يقدر لهم أن يصلوا إلى المكان الذي قرروا اللجوء إليه فقد اعترض جنود المعتضد طريقهم وقتلوهم عن آخرهم. [2]

إن الأسباب والدوافع التي قذفت بالحكام المهزومين للعيش بعيدا عن أوطانهم واللجوء إلى عواصم أخرى هي نفسها التي دفعت بأفراد هذه القبيلة لمغادرة ديارهم واللجوء إلى مكان قريب من غرناطة وهي أسباب عسكرية محضة فالحكام لا حكم لهم بعد الهزيمة أما قبيلة بني بريان فقد قلبت الغارات المتكررة للمعتضد بن عباد حياتهم رأسا على عقب.

**5 خامسا: الأسباب الثقافية:**

وهنا يمكننا أن نتحدث عن اللجوء المتكرر للعالم الفقيه أبو محمد علي بن حزم: فقد كان اختياره للمذهب الظاهري ومخالفته لفقهاء المالكية في كثير من مسائل الفقه سببا في التحامل عليه وتأليب الحكام ضده، فلا يحط الرحال ببلدة إلا جاءه من يأمره بالرحيل بإيعاز من فقهاء المالكية، وقد سلك معه هؤلاء الفقهاء مسلك الطرد لأنهم عجزوا عن مجادلته وإفحامه، فلقد كان ابن حزم واسع العلم مطلعا على جميع المذاهب حافظا لكتب الفقه المالكي وقد ناظر فيه فقهاء المالكية مرارا فغلبهم وبين قصوره في الكثير من المسائل، لذلك كان هؤلاء الفقهاء يتحاشونه فقرروا طرده حتى لا يتصل بالناس. [3]

وتشير بعض الأبحاث التي أجريت حول شخصية ابن حزم أنه في رحلة لجوئه المكوكية نزل بجزيرة ميورقة سنة 430هـ/1038م حيث آواه أحمد بن رشيق والي مجاهد العامري عليها وطلب منه أن يستقر عنده زمنا لأن الحكام الآخرين اضطهدوه وفي ميورقة ناظر ابن حزم عددا من فقهاء المالكية وأشهر محاضراته بها تلك التي حدثت بينه وبين أبي الوليد الباجي بعد عودته من رحلته إلى المشرق. [4]

كما لجأ ابن حزم في مرة من المرات بشاطبة ، لقد تسببت آراؤه المتحررة واختياره للمذهب الظاهري ومخالفته لفقهاء المالكية في الكثير المسائل ودراسته للفلسفة والمنطق الأرسطي في اضطهاده وإحراق كتبه والحكم

[1] ابن الأبار: الحلة السيراء، القاهرة، 1985،دار المعارف،ج2، ص181-184.عنان : دولة الإسلام في الأندلس،دول الطوائف،القاهرة، 1997،المدني، ص 46-47.عنان: المرجع نفسه،ص 48.)

[2] عنان: المرجع نفسه،ص 46.

[3] ابن بسام: المصدر السابق، ق1، م1، ص 167-168.

[4] عبد المجيد تركي: مناظرات في أصول الشريعة بين ابن حزم الظاهري والباجي، تحقيق عبد الصبور شاهين،دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، ط1،1986، ص 53-54؛ ابن الأبار: الحلة ، ج2، ص 128.

عليه بالضلال، فحذر منه الفقهاء الملوك والعوام فكان كلما نزل بمدينة طرده ملكها ، فكان يلجأ من بلاط إلى بلاط حتى استقر به المقام أخيرا في مسقط رأسه بعيدا عن أعين فقهاء المالكية في بادية لبلة ينشر علمه هناك.[1]

## III المطلب الثالث: آثار اللجوء بالأندلس في عصر الطوائف

يعرف الأثر بأنه البقية من كل شيء، وآثار اللجوء هي نتائجه وما ترتب عنه سواء كان ايجابيا أو سلبيا وقد بدا لي بعد النظر والتأمل بأن كل سبب من الأسباب السابقة قد ترتبت عنه آثار ما بعضها إيجابي وبعضها سلبي.

### 6 أولا- الآثار الاقتصادية:

بوسعنا أن نتحدث عن نوعين من الآثار الاقتصادية :

**أ/- السلبية:**

-لقد خسر القطاع الاقتصادي في المناطق التي غادرها العمال وفي مقدمتها مدينة قرطبة يدا عاملة نشطة ومؤهلة وماهرة ، ولتكوين يد عاملة مماثلة يتطلب الأمر سنوات من العمل الدءوب والتكوين المستمر.

- فقدت الكثير من الإمارات التي رحلت منها رؤوس الأموال الضخمة فرصتها في تحقيق النمو الاقتصادي المنشود إذ يعتبر المال رقما مهما في المعادلة الاقتصادية لا يمكن قيام أي نشاط بدونه، ومع ذلك استطاع بعض الحكام التغلب على هذا التحدي وأنشأوا اقتصادا مزدهرا في وقت قصير، وتجربة أبي الحزم بن جهور خير مثال على ذلك.[2]

-عرف النشاط التجاري تراجعا ملحوظا في المدن التي توقفت فيها بعض النشاطات وغابت بعض المنتوجات من أسواقها.

**ب/-الإيجابية:**

-ساعد انتقال رؤوس الأموال على خلق نشاطات اقتصادية جديد وامتصاص البطالة في مناطق اللجوء.

-انتعاش التجارة والزراعة والصناعات النسيجية والعاجية في كل من بلنسية وطليطلة والمرية بسبب انتقال اليد العاملة المؤهلة إليها.[3]

-تحسن دخل اللاجئين في المناطق التي لجأوا إليها.

### 7 ثانيا: الآثار السياسية:

-تسبب اضطهاد بعض الحكام لبعض الوزراء والكتاب وإجبارهم على مغادرة بلاطاتهم في خسارة هذه البلاطات للكثير من الكفاءات السياسية المحنكة التي تملك الخبرة في إدارة مناصب معينة في الدولة كابن زيدون وأبي عامر وأبي القاسم بن الفرج [4] وأبي محمد عبد الله بن أبي عمر يوسف بن عبد البر الذي كان كاتبا فذا فقد تكرر لجوءه وتنقل

[1] خوليان ريبيرا: التربية الإسلامية في الأندلس،القاهرة، 1994،دار المعارف، ص 29.

[2] تاريخ الأندلس السياسي (62-897هـ/711-1492م) دراسة شاملة: محمود مكي،بيروت،1999، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 103.

[3] الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: الجيوسي،بيروت،1999،مركز دراسات الوحدة العربية، ج2 ص 873؛ ابن عذاري:المصدر السابق،ج2 ص 415 و الذخيرة ق3 م1 ص 16-17.

[4] ابن بسام: المصدر السابق، ق3،ج1، ص103-104.

بين عدد من البلاطات [1]، أما ابن حزم اللاجئ الدائم فله أفكار مهمة في السياسة ضمنها كتابيه " الإمامة والسياسة" و"كتاب السياسة" وكان بمقدور الحكام الاستفادة منها ولكنهم لم يفعلوا.

-اعتبر لجوء بعض الوزراء والعلماء الذين تقلدوا وظائف سياسية في البلاطات التي فروا منها مكسبا للبلاطات التي لجأوا إليها لأن هذه الأخيرة لم تتوان عن الاستفادة من خبراتهم، فبعد وصول ابن زيدون إلى اشبيلية قلده المعتضد الوزارة ورمى إليه بشؤون الحكم [2]، وصار أبو عامر بن الفرج بعد وصوله إلى طليطلة وزيرا للمأمون بن ذي النون ، وحظي أبو القاسم بن الفرج بمنصب مماثل في البونت، أما أبو محمدعبد الله بن عبد البرفقد كتب عن أكثر ملوك الطوائف [3].

-ساهم خروج الوزاء والعلماء الذين كانوا بمثابة التيار المعارض للنظام الحكم في بقاء ما كان على ما كان أي بقاء الأنظمة الحاكمة الشمولية المغلقة على حالها وانقطاع الأمل في التغيير، وقد أثر ذلك سلبا على الهامش المتاح للحريات الفردية والجماعية.

**8 ثالثا: الآثار الثقافية:**

- يعتبر اللجوء المتكرر لابن حزم إلى عدد من دويلات الطوائف فرصة ملائمة مكنته من نشر أفكاره التي يؤمن بها سواء تعلق الأمر بالمذهب الظاهري الذي كان مذهبه المختار أو بالعلوم التي جمعها من تخصصات مختلفة كالمنطق والفلسفة والتاريخ والأدب وغيرها، وكان ابن حزم مكتبة متنقلة خاض في جميع العلوم المعروفة في عصره وناظر أصحابها وكتب الكثير من الردود والمصنفات، وقد تمكن من نشر مذهبه في جزيرة ميورقة، أما بشأن العلوم الأخرى فكان له طلبة في كل مدينة لجأ إليها. [4] .
- من الآثار السلبية للجوء ابن حزم تأليب فقهاء المالكية ضده بآرائه المتحررة ما أدى إلى استصدار قرار من حكام المناطق التي نزل بها بإيعاز من الفقهاء بحرق مؤلفاته وهذا ما تم بالفعل، وهذه بلا شك خسارة كبيرة لجزء نفيس من التراث العربي والإسلامي، كما أنه منع من إلقاء الدروس وتعليم الناس وهذا ما جعله يختلي بنفسه في بادية لبلة ويلتقي بطلبته يدرسهم حتى توفي بها سنة 456هـ/1064م[5].

**9 رابعا: الآثار العسكرية:**

-حرمت الصراعات العسكرية التي أجبرت بعض العقول والكفاءات على مغادرة بلدانها الأصلية من الاستفادة من خبراتهم في مختلف المجالات ومكنت مناطق اللجوء من ذلك؛ فعلي ابن مجاهد العمري الذي أجبره صهره المقتدر بن هو على ترك دانية كان خبيرا اقتصاديا من الطراز العالي وعالما في فذا.[6]

---

[1] ابن بسام: المصدر السابق، ق3م1 ص 125-126.

[2] عنان: المرجع السابق، ص 25.

[3] ابن بسام: المصدر السابق، ق3،م1، ص 126.

[4] مناظرات في أصول الشريعة: المرجع السابق، ص 54.

[5] ابن بسام: المصدر السابق، ق2، م1، ص 96، ق1،م1،ص 168)

[6] ابن الخطيب: أعمال الأعلام، بيروت،لبنان،2002،دار الكتب العلمية، ج2 ص 206؛ المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد ج2 ص 401.

-إن الإذن لبعض الحكام بإفراغ خزينة الدولة واصطحاب تلك الأموال معهم في رحلة لجوئهم بعد استسلامهم حرم قطاعا واسعا من الشعب من الاستفادة من تلك الأموال التي يفترض أنها من مدخرات الأمة، وهذا قطعا من الآثار للحملات العسكرية، وممن حمل أموال الخزينة معه بعد استسلامه في ثلاث سفن معز الدولة أحمد بن صمادح بعد دخول المرابطين عليه [1]

## خاتمة:

نستخلص مما جاء في صلب هذه الدراسة ما يلي:

- الأسباب التي ساهمت في نشأة ظاهرة اللجوء في عصر ملوك الطوائف بالأندلس متعددة ومتنوعة .

- أن هذه الظاهرة قد مست جميع فئات المجتمع الأندلسي وليس جميع دول الطوائف فبعضها تم اللجوء إليها وليس منها.

-نتائج اللجوء وآثاره كذلك متنوعة ومتعددة بعضها إيجابي والبعض الآخر سلبي.

-كان اللجوء سببا في حدوث تحولات عميقة في المجتمعات الأندلسة على مختلف الأصعدة والمستويات.

[1] عبد الله بن بلقين: المذكرات،مصر،1955،دار المعارف، ص .168.